المحاضرة الثالثة

أ/ قطاف سارة

ب-مدرسة النظام الألفبائي(الهجائي) بحسب الحرفين الأول والثاني مع الاحتفاظ بالأبنية:

وقد أرسى دعائم هذه المدرسة ابن دريد في "الجمهرة". وتضم معاجم ثلاثة، هي: الجمهرة لابن دريد (القرن الثالث الهجري)، و"مقاييس اللغة" و"المجمل" لابن فارس (القرن الرابع الهجري).

ويلاحظ على هذه المدرسة أنها لم تتبع نظام ترتيب الحروف بحسب مخارجها كما في المدرسة السابقة، وإنما اتبعت نظاما جديدا هو ترتيب الكلمات على الألف باء، غير أنها لم تتخلص من التقاليب، ومن الأبنية، فبقيت صعوبة البحث مطروحة حتى في هذه المدرسة.

1-جمهرة اللغة لابن دريد (ت321هـ):

وهو من المعاجم المجنسة، رتبه ابن دريد على حروف المعجم، وفق منظور بنائي، وعلل ذلك بقوله: «إذ كانت بالقلوب أعبق، وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة، وطالبها من هذه الجهة بعيدا من الحيرة، مشفيا على المراد». ولقد خطا ابن دريد بالتصنيف المعجمي خطوات إلى الأمام، نحو التيسير، بعد أن رأى ما في معجم العين من صعوبات في البحث.

لم يضع ابن دريد هذا الاسم اعتباطا، وإنما سماها بالجمهرة لأنه انتقى لها المشهور من كلام العرب، وأرجأ الوحشي المستنكر. فهذا هو هدفه الأساس من التأليف.

أما منهجه فيها فقد رأى أن يعدل في وضع معجمه عن الطريقة الصوتية التي استنبطها الخليل، ويختار بدلا عنها الأبجدية المألوفة للناس (أ، ب، ت، ث...)، فالأولى تتطلب سبق دراية بمخارج الحروف ومدارجها، في حين تيسر الثانية سبيل الكشف عما يُرادُ من الألفاظ. وقد تحدث ابن دريد عن منهجه الذي حاول فيه البدء بالثنائي الألفاظ: أب، أت، أث...وفيه لم يدمج كل الكلمات التي تتركب من حرفين صحيحين، بل فصّل في ذلك فذكر الثنائي غير المضاعف وحده، ثم الثنائي المشدد الآخر، أو ما يسميه الصرفيون الثلاثي المضاعف، نحو عَدَّ. ثم الثنائي الذي كرر فيه المقطع، أي الرباعي المضاعف، مثل: زلزل، الذي يسميه الرباعي المكرر، ثم الثنائي المعتل، وهو اللفيف عند الصرفيين.

ثم ينتقل إلى الثلاثي الذي ألحق به ثلاثة أبواب هي: المضاعف دون إدغام، نحو: ددن، بلل، والمعتل العين واللام.

أما الرباعي فألحق به ما يشتمل على حرفين مثلين، نحو كركر، وقرقر. ثم ما جاء على وزن: فِعَلَّ، وفُعُلَّ. ثم ما جاء على وزن: فيعل، وفوعل...إلخ.

بينما الخماسي عالجه كما حلا له، إذ كلما خطر له وزن معين عقد له بابا خاصا.

وقد شرح ابن دريد منهجه في المقدمة، فقال: «فمن نظر في كتابنا هذا فالتمس حرف أي لفظ ثنائي فليبدأ بالهمزة والباء، إن كان الثنائي باء ثقيلة (أي مشددة)، أو الهمزة والتاء...إلى آخر الحروف. وأما الثلاثي فإنا بدأنا بالسالم منه،

فمن أحبَّ أن يعرف حرفا من أبنيته...فليبغ ذلك في جمهور أبواب الثلاثي السالم، ومن أراد بناء يلحق بالثلاثي بحرف من حروف الزوائد، فإنا قد أفردنا له بابا في آخر الثلاثي، تقف عليه مع المعتل إن شاء الله. فأما الرباعي فإنّ أبوابه مجمهرة على حدتها...ثم جعلنا للملحق الرباعي بحرف من حروف الزوائد بابا مثل: فوعل نحو كوثر، وفعول نحو جهور، وفيعل نحو خيعل وبيطر، وفعيل نحو خذيم. فهذا سبيل الرباعي في الأسماء والصفات. وأما الخماسي فنبوب له أبوابا لم نحوج فيه إلى طلب لقرب تناولها، وكذلك الملحق الخماسي بحرف من الزوائد. فإن عسر مطلب حرف من هذا فليطلب في اللفيف، فإنه يوجد إن شاء الله تعالى. وجمعنا النوادر في باب فسميناه (النوادر) لقلة ما جاء على وزن أفعالها، نحو: قهوباة، وطوبالة، وقرعبلانة، وما شابه ذلك».

لم يسلم ابن دريد من النقد، فقد عابه الأزهري بالكذب، وافتعال اللغة، ونسب إليه ابن جني في الخصائص القصور في علم التصريف، واتهمه معاصره نفطويه بسرقة الجمهرة من كتاب العين، مع تبديلها أو تغييرها، في أبيات شعرية شهيرة، رد عليها ابن دريد بعنف وغضب.

إذن، من المآخذ عليه:

– الكذب ووضع الألفاظ، وقد دافع عنه السيوطي في "المزهر"، ونفى ذلك.

–التفرد ببعض الألفاظ التي لا توجد عند غيره، ليس عليها إجماع من اللغويين.

–إكثاره من المولد والضعيف.

–التصحيف.

–اضطرابه في الهدف، بين إرجاء الغريب أو إلغائه، أو العناية به.

–تفسير الألفاظ يلفظ معروف.

–اعتبر تاء التأنيث هاء أصلية في الكلمة، فذكر الكلمتين "حبة" و"عفة" في مادتي "ح ب ب ه" و"ع ف ف ه"، وقد اعتذر له المستشرق "كرنكو" محقق معجمه بأنّ الدافع إلى هذا هو جهل من ألف لهم الكتاب الذين لم يفرقوا بسهولة بين ما فيه الهاء أصلية، وبين ماهي فيه زائدة للتأنيث.

–وقع كثيرا في التكرار.

–أكثر من الأخذ عن كتاب العين، فالتشابه يكاد أن يكون كاملا بين المعجمين في الأسلوب والشرح والاستشهاد (مع أنّ الاعتماد على المعاجم السابقة ظاهرة عامة)، مما دفع نفطويه إلى اتهامه بالسرقة[1].

ولكن على الرغم من كل ما قيل فيه يبقى معجم الجمهرة منهلا ثرّا للعطاء اللغوي العربي، ينظر إلى ما فيه من إيجابية تغلب على معايبه، إذ من ذا الذي تُرضى سجاياه كلها، ومن ذا الذي تؤخذ عنه آراؤه أجمعها. يقول ابن دريد نفسه: «فإن كنّا أغفلنا من ذلك شيئا، لم ينكر علينا ذلك، لأننا أمليناه حفظا، والشذوذ مع الإملاء لا يدفع».

---

[1] قال فيه:

ابن دريد بقره------فيه عَيٌّ وشَرَهْ

ويدعي من حمقه---وضع كتاب الجمهرة

وهو كتاب العين إلا---أنه قد غَيَّرَه.

وقد انصبت حول الجمهرة دراسات كثيرة، مما يدل على قيمتها، نذكر:" فائت الجمهرة" لأبي عمر الزاهد(ت345هـ)، و"جوهرة الجمهرة" للصاحب بن عباد(ت385هـ)، و" الموعب" لابن التباني (ت436هـ)، "نثر شواهد الجمهرة" لأبي العلاء المعري(ت449هـ)، "نظم الجمهرة" ليحيى بن معط الزواوي(ت682هـ) وغيرها.

2-معجما مجمل اللغة، ومقاييس اللغة لأحمد بن فارس(ت395هـ):

التزم ابن فارس في المجمل بالحرف الأول، والثاني، والثالث. وسماه مجملا لأنه أجمل الكلام فيه إجمالا.

رتبه على الألفبائية، قصد تيسير الوقوف على الغرض منه. فإذا احتاج الباحث إلى الكلمة نظر إلى أول حروفها، فالتمسها في الكتاب الموسوم بذلك الحرف.

ويظهر أن معجم المجمل يمثل المرحلة الفكرية الأولى في حياته، وأنّ المقاييس في اللغة يمثل المرحلة الثانية فيها.

وهذا تلخيص منهجهما:

المعجم	المجمل	مقاييس اللغة
الترتيب	الترتيب الألفبائي مع ترك التقليبات بعدد حروف الهجاء، مبتدئا بالهمزة، وناظرا في الترتيب إلى الحرف الثاني فالثالث.	الترتيب الألفبائي مع ترك التقليبات بعدد حروف الهجاء، مبتدئا بالهمزة، وناظرا في الترتيب إلى الحرف الثاني فالثالث.
الهدف	-تدوين الواضح والمشهور والصحيح من الألفاظ	-الكشف عن المعنى الأصيل المشترك -جمع صيغ المادة وتوضيحه. -إثبات أنّ أكثر الأبنية الرباعية والخماسية منحوت.
المنهج	-الأبنية قليلة، هي: -الثنائي المضاعف. -الثلاثي. -ما زاد عن الثلاثي.	-يقسم وفقا للحروف، ثم يقسم كل حرف إلى أبنية. -الأبنية قليلة، هي: -الثنائي المضاعف. -الثلاثي. -ما زاد عن الثلاثي من المجرد.

فضلا عن:

-عرضه لآراء اللغويين، ونقدها كذلك.

-الإشارة إلى لغات القبائل ولهجاتها.

-الاعتناء ببعض الظواهر الصرفية والصوتية، كالإبدال والأضداد، والإفراد والتثنية والجمع.

-أفاد من معرفته باللغة الفارسية، فأشار إلى بعض الكلمات الدخيلة أو المعربة.

-نهج نهجا موسوعيا، بذكر أيام العرب، وخيلها، وأنسابها.

-أطنب في معجمه بلا ضرورة لذلك، وأكثر من الشواهد، وكان الشعر أكثرها.

-تميز المقاييس بأن أداره على نظريته الاشتقاقية، ما كان له أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة، وما لا أصل له حكم عليه بالتباين.

-أشار في المقاييس إلى المجاز من الألفاظ.

-لابن فارس مذهب واضح، يقيمه على فكرة النحت، وهو أنّ الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد: ضبطر، من ضبط وبطر.

مآخذ على هذه المدرسة:

-ظاهرة تكرار المدخلات في المجمل.

-عدم الدقة في المنهج في المجمل.

-الوهم في نسبة بعض النصوص إلى العين وهي ليست فيه.

-صعوبة الترتيب في معاجم هذه المدرسة، على الرغم من اتباعها الألف باء، وكذا تقسيم المعجم إلى أبنية، وتمسك ابن دريد بالتقاليب. وعليه لم تتخلص هذه المدرسة من عيوب المدرسة السابقة عنها.

ومجمل القول في **المجمل**، أنه معجم أراد به أن يقدم الألفاظ ومعانيها، مجملة للقارئ حتى يتيسر له تناولها، والايغال في فهمها، ولا يضير العمل أن يشوبه بعض النقص، فذلك مقتضى كل عمل بشري. أما معجم **مقاييس اللغة**، فهو ليس معجما عاما للغة، ولكنه معجم خاصّ، يدافع عن فكرة خاصة، فكان منهجه متشكلا وفقها.

وقد أورد محمد عبد السلام هارون وهو من حقق المقاييس في مقدمة تحقيقه شهادته فيه، فقال: «لا يختلف اثنان بعد النظر فيه، أنه فذّ في بابه، وأنه مفخرة من مفاخر التأليف العربيّ، ولا أخال لغة في العالم، ظفرت بمثل هذا الضرب من التأليف، ولقد أضفى ابن فارس عليه من جمال العبارة، وحسن الذوق، وروح الأديب، ما يبعد به عن جفوة المؤلفات اللغوية...فأنت تستطيع أن تتخذ من هذا الكتاب متاعا لك، إذ تبغي المتاع، وسندا حين تطلب التحقق والوثوق، والكتاب بعد كل أولئك يضمّ في أعطافه وثناياه، ما يهب القارئ ملكة التفهم لهذه اللغة الكريمة، والظهور على أسرارها».

المحاضرة الرابعة

ج-مدرسة الترتيب الألفبائي بحسب الحرف الأول والثاني والثالث

ومن معاجم هذه المدرسة:

1-كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني (ت206هـ):

كان الشيباني جامعا لأشعار العرب، فقد حفظ ما يزيد على ثمانين قبيلة عربية. استصفى الكلمات من ذلك المحفوظ الكثيف، وضمّ إلى كل كلمة شاهدها، مع اسم قائله، وقبيلته، ولذلك اعتبر هذا المعجم معجما لغويا يُعنى بلغات العرب ولهجاتها. ويقال بأنه ألف قبل معجم العين. على أنه تعتوره نقائص، والعين أشد إحكاما من حيث المنهج، وأوضح غاية، وأكثر علمية ودقة.

رتبت مواد (الجيم) على حروف الهجاء، ويمتاز باستصفائه مفردات شعر القبائل، واحتوائه على ثروة لغوية وشعرية، تجمع المعروف والغريب، وهو صورة عن عمل الرواة في ذلك العصر (الثاني للهجرة). خاصة أن الشيباني من الرواة الثقات، وأسبق من الأصمعي وأبي عبيدة بن معمر بن المثنى، في سعة المحفوظ والمروي والشواهد.

رتب الشيباني معجمه وجعله أبوابا، معتمدا الحرف الأول للفظ، وقدّم باب الواو على باب الهاء، ولم يلتفت إلى الحرف الثاني والثالث في الألفاظ، ولم يلتزم بالجذور، وإنما جاءت الألفاظ بصيغتها المتباينة، ولذلك جاءت المدخلات على صيغ متنوعة، بين ماض أو مضارع أو أمر، أو مصدر أو أفعل تفضيل، أو بصفة الجمع، أو بصفة التأنيث، وهكذا دواليك.

يلاحظ على كتاب (الجيم) التكرار، وتداخل الأبواب، وعدم اعتماد منهج لتسلسل الشواهد، وإن كان أغلبها لشعراء عصر الاحتجاج، وهذا جانب قوي في معجمه.

ويورد الدكتور عبد الجليل أنّ ظاهرة الاضطراب ملاحظة داخل المعجم، فتارة يهمل الشرح، وتارة يوجزه، وتارة يغرقه في سياقات تمثيلية واستشهادية، يستفيض فيها فتذهب الغاية.

ورغم ما قيل فيه، وما أوخذ به، من خلط واضطراب وإطناب، يبقى سجلا حافلا بالموروث اللغوي الفصيح، الذي يدعم البحث اللغوي ويرسيه.

2-معجم أساس البلاغة لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت538هـ):

الزمخشري إمام من أئمة اللغة والأدب، اشتهر بتنوع مؤلفاته، ومنها: الكشاف في تفسير القرآن، والفائق في غريب الحديث، وشرح كتاب سيبويه، والمفصل في النحو، وغيرها.

يظهر هدف الزمخشري من تأليف هذا المعجم أول ما يظهر في عنوانه، فهو ليس بمحيط، ولا صحيح، ولا تهذيب، ولا بارع، ولا جمهرة، وإنما هو أساس البلاغة، فكأنه بذلك نقلنا من اللغة إليها. فتكون غايته بذلك «تمييز المعاني الحقيقية من المعاني المجازية، والوصول إلى تبيّن ما رسمه البلغاء، والعثور على ما نظمه الفصحاء، واختيار ما تداولوه من ألفاظ، وانتخاب ما انتخلوه واستجزلوه، وترك ما كان ركيكا غير مقبول، وأهم ما يعنيه في المادة اللغوية، تخيّر الجمل البلاغية المتجانسة».

وهو بتأليفه لهذا المعجم يرمي إلى أهداف:

-هدف ديني: وذلك بتبيّن مراسم البلاغة في أقوال العرب، ليسمو منها إلى مراسمها في القرآن، الذي نزل بلغتهم، وعلى سننهم في التعبير، فيكون صدر يقين القارئ أثلج، وسهم احتجاجه أفلج.

-هدف علمي: وهو تتبع طرائق البلاغة، ووجوه البيان في الألفاظ العربية، ممّا يكون آثر في الأنفس، وأبلغ في الإقناع، وأدعى إلى تكوين المفلقين الفصاح، في المنثور والمشعور.

أما ترتيبه فهو ألفبائي حسب أوائل الأصول، وجعل لكل حرف بابا مستقلا أدرج تحته جميع الألفاظ المبدوءة بذلك الحرف، فكان عدد الأبواب ثمانية وعشرين بابا، ورتب الألفاظ بعد ذلك بحسب الحرف الثاني من حروف الكلمة الأصلية.

فيجعل الحرف الأول من اللفظ بابا، والثاني فصلا.

وقد قسم مواد معجمه إلى قسمين، الأول للمعاني الحقيقية، والثاني للمعاني المجازية.

ومن ميزات هذا المعجم عنايته بالمجاز، والتذكير على دور العبارة البليغة، فتخيّر له الزمخشري الأساليب الرائعة، والعبارات المبدعة، غير متقيّد بعصر معين في الاستشهاد، وامتاز كتابه بوفرة الشواهد، إذ بلغت خمسة لاف، ناهيكَ عن آلاف الأمثال والحكم، والجمل البلاغية الرائعة. كما اعتمد السياق والتركيب ككل، فاللفظ عنده لا يحمل إلا أجزاء من المعنى، إذ اكتماله مع غيره، وهذا لا يظهر إلا داخل السياق اللغوي.

أُخِذ على الزمخشري أن معجمه لم يستوعب جميع مفردات اللغة. وإغفاله للكثير من المواد، لأن غرضه الأساس التمييز بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية. فضلا عن اضطراب الترتيب في المضاعف الثنائي، والخلط بين المعتل الواوي واليائي، وتداخل مواد رباعية مع مواد ثلاثية (مثلا: أدخل حدبر في حدب، وحدرج في حدر)، واضطراب في تحديد المجاز من الحقيقة، كما لوحظ عليه إغفال ذكر أصحاب العبارات والشواهد أحيانا.

مع كل ذلك يبقى هذا المعجم رائدا وفريدا في تناوله البلاغي، فهو معجم خاص بالتعبير العربي، وبالعبارة المؤلفة البليغة وليس معجم ألفاظ، فيوضع موضعه اللائق به، ويحمد لصاحبه أنه وجّه حركة المعاجم إلى العبارات الأدبية البليغة، بدلا من الاقتصار على الألفاظ المفردة، وهو أول من سار على أوائل فثواني فثوالث اللفظ.

اختصر هذا المعجم أكثر من كاتب، حيث اختصره ابن حجر العسقلاني (ت737هـ) في معجم سماه (غراس الأساس)، واختصره عبد الرؤوف المناوي(ت1041هـ) في كتاب سماه (إحكام الأساس).

3-معجم المصباح المنير للفيومي(ت770هـ):

وهو معجم فقهي في الأصل ولغوي كذلك، موجز، يضم مفردات لغوية وشروح لها، إلى جانب فصول في الصرف والنحو، أنتجه الفيومي ليشرح المصطلحات الفقهية.

قسمه إلى تسعة وعشرين بابا، على تسعة وعشرين حرفا، جرّد الكلمات من الزوائد، معتمدا جذورها، واعتمد الألفبائية في الترتيب، مراعيا الحرف الأول والثاني، وراعى خصوصيات الهمزة في التسهيل والتحقيق، وأورد الرباعي والخماسي، واعتنى بالمتوالية الاشتقاقية لمدخلات الأصول. كما ضبط الألفاظ حتى ينتفي احتمال الخطأ في قراءتها أو فهمها.

اعتمد على الشواهد قرآنا وحديثا وشعرا، مع عزو الشاهد إلى صاحبه، وقد اعتمد على المعجميين قبله، كما اعتنى بالجوانب الصرفية والاشتقاقية، وكذلك بالمعاني الشرعية والمصطلحات الفقهية.

وعلى هذا النمط من الترتيب سارت العديد من المعاجم العربية، أهمها: محيط المحيط للبستاني، والمنجد للأب لويس المعلوف اليسوعي، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة. وفي الجدول التالي تلخيص ما جاء فيها:

المعجم	محيط المحيط	المنجد	المعجم الوسيط
الترتيب	-الترتيب الألفبائي	-الترتيب الألفبائي	-الترتيب الألفبائي
الهدف	-إحياء اللغة العربية بتأليف معجم يسهل	-تلبية الحاجة إلى معجم مدرسي موسع يفيد الطلاب	-المحافظة على سلامة اللغة، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها.

	الرجوع إليه، وفي مستوى قرائه من حيث المنهج، ويسد حاجتهم من المفردات.	ويعين المتأدب الناشئ، ويكون قريب المأخذ.	ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر. -تدارك الأخطاء التي وقع فيها القدامى في تأليفهم، لا سيما في الترتيب والشرح.
المنهج	-اعتمد مؤلفه على القاموس المحيط للفيروز آبادي، إلا أنه أعاد ترتيبه ترتيبا هجائيا بحسب أوائل الكلمات وثوانيها وثوالثها، كما في أساس البلاغة. -زاد على القاموس ببعض الشواهد والأمثلة، وأدخل كثيرا من المصطلحات المستحدثة في اللغة، وأورد كثيرا من الألفاظ العامية.	-سار على نظام محيط المحيط في الترتيب، واختصر معجمه. -بدأ ترتيب الأفعال بالمجرد فالمزيد ثم الأسماء الجامدة والمشتقة. -استعان صاحبه برموز واصطلاحات خاصة توخيا للاختصار، وتجنبا للتكرار. -حوى المعجم صورا ورسوما يزيد عددها عن الألف، ولوحات تزيد على الأربعين. -ألحق بالمعجم معجما للأعلام.	-تقسيم المعجم إلى أبواب بعدد حروف الهجاء، وباعتبار الحرف الأول من حروف المادة الأصلية. -تقسيم كل مادة إلى قسمين، الأول للأفعال، والآخر للأسماء والصفات. وتقديم الأفعال المجردة على المزيدة، ثم ترتيب المزيد وفق حروفها كلها. وفصل المتعدي عن اللازم. -أقرّ كثيرا من المصطلحات العلمية، ومن الألفاظ المولدة والمعربة الحديثة. -حرص على الاستعانة بالرسوم والصور لتوضيح ما يشرحه المعجم من نبات أو حيوان أو جماد. -هجر الغريب الوحشي والمستنكر، والمهجور من المصطلحات. -الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأمثال العربية، والتراكيب المأثورة عن فصحاء الكتاب والشعراء. -طلبا للاختصار اتخذ رموزا واصطلحات، منها للجمع: ج، وللمولد: مو، وللدخيل من الألفاظ: د. وغيرها.

د.مدرسة نظام التقفية

1-معجم التقفية أبي البشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي(ت284هـ):

قيلَ أنه سبق الجوهري(ت393هـ) في كتابه (تاج اللغة وصحاح العربية)، وبينهما أكثر من مئة عام. خلافا لما أجمع عليه الباحثون من كون الجوهري هو الرائد في هذا النظام.

وهو كتاب مؤتلف على القوافي، أراد به صاحبه سلامة اللفظ، وسهولة العبارة، واليسر في تبسيط المادة، بعيدا عن التعقيد في المنهج، وربما كان مؤلفا لغير العرب من الشعراء، لينتفعوا بالقوافي المتنوعة، لبناء قصائدهم بلا مشكلة.

2-معجم تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ/ وقيل حوالي 400هـ):

اتفق العلماء على أنّ معجم الصحاح يفوق ما تقدمه من المعاجم منهجا وحسن مأخذ. قال عنه الثعالبي: (هو أحسن من الجمهرة، وأوقع من تهذيب اللغة، وأقرب تناولا من مجمل اللغة). لأنه ابتكر في التأليف المعجمي منهجا يسّر للباحثين السبيل إلى الكلمة التي يقصدون، فلم يعد هناك داع للسير على نظام التقليبات، ومن ثمّ لم تبق حاجة إلى الأبجدية الصوتية التي اتخذت أساسا لذلك النظام، وإنما ابتدع الجوهري نظاما جديدا يقوم على ترتيب المواد حسب النظام الألفبائي، بترتيب الكلمات على أساس الحرف الأخير في الكلمة ثم الثاني وهكذا. الأول سماه بابا، والثاني فصلا.

لم يكن هدف الجوهري في معجمه حصر اللغة أو إحصاؤها، كما فعل الخليل ومن تلاه، إنما كان يرمي إلى التزام الصحيح من الألفاظ، وتيسير البحث في المواد، مقتصرا على الصحيح وحده. ولذا سمى كتابه الصحاح.

ويظهر أن الجوهري سمى معجمه الصحاح، مجاراة لأصحاب الحديث، فكما لهم "صحيح البخاري" وسواه من المصنفات، فلم لا يكون للغويين معجم يحمل دلالة الصحة في شكله ومتنه؟

أما منهجه فاتسم بالآتي:

-رتّب الكلمات حسل أصولها وفق النظام الألفبائي، عدا حرف واحد هو الواو، وضعه بين النون والهاء، ليتسنى له جمع الواو والياء في باب واحد.

-تجنبا للتصحيف الذي طال معاجم سابقة، نتيجة عدم ضبطها بالشكل، أو نتيجة أخطاء النُسّاخ، سار الجوهري على طريقة لضبط الكلمات بالحركات، فالكلمة الواحدة تحتمل أكثر من وجه واحد.

-التزم بالصحيح من الألفاظ، لكنه لم يهمل الإشارة إلى ما هو ضعيف ومهمل من الألفاظ، كما أشار-لثقافته الواسعة، واطلاعه على لغات أخرى كالفارسية-إلى الألفاظ الدخيلة المعربة، وفي ذلك حرصٌ على بيان أصول الكلمات.

-اهتمّ بنظرية المحاكاة المسماة نظرية التناسب الطبيعي، واعتنى بتعدد الدلالة.

-يلاحظ على المعجم الاختصار، ومردّ ذلك التزام الصحيح منها، وكان يعرض المفاضلة بين اللغات، فضلا عن كثرة الأحكام والقواعد النحوية والصرفية.

أثر الصحاح:

كان للصحاح أهمية كبيرة، إذ أقبل عليه العلماء يدرسونه وينقدونه ويكملونه ويعلقون عليه. ولا نظن أن هناك معجما عربيا كانت له هذه الأهمية مثله.

-فمن المعلقين عليه: أبو نعيم علي البصري(ت275هـ)، وأبو سهل محمد بن علي التبريزي الهروي(ت1041هـ)، وأبو زكريا التبريزي(ت1109هـ).

-ومن المختصرات عليه:

-مختصر الزّنجاني(ت656هـ)

-مختصر ابن الصائغ(ت725هـ)

-مختار الصحاح للرازي(ت691هـ)

-مختصر القيسي(ت1026هـ)

-ومن تكملاته:

-المنتهى لابن تميم البرمكي(ت397هـ)

-المعرب عما في الصحاح والمغرب للزنجاني.

-الجمع بين الصحاح والغريب المصنف للبطليوسي(ت642هـ)

-تاج الأسماء في اللغة للزمخشري.

-ضالة الأديب في الجمع بين الصحاح والغريب للحواري.

-التكملة والدليل والصلة للصاغاني(ت650هـ).

-ومن الحواشي عليه:

-حاشية القصباني البصري(ت444هـ)

-حواشي ابن بري(ت572هـ) وابن القطّاع (ت515هـ).

-حاشية الشاطبي(ت684هـ).

-حاشية الصفدي(ت764هـ).

-وهناك كتب لنقده منها:

-قيد الأوابد من الفوائد للميداني النيسابوري(ت518هـ)

-إصلاح الخلل الواقع في الصّحاح للقفطي(ت646هـ)

-نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم للصفدي(ت764هـ)

-مجمع السؤالات من صحاح الجوهري للفيروز آبادي(ت817هـ)

-ومن الكتب التي دافعت عنه:

-اللفظ الجوهري في رد خباط الجوهري للسيوطي(ت911هـ)

-وجاءت كتب تدرس شواهده، ومنها:

-حلى النواهد على ما في الصحاح من الشواهد للصفدي(ت764هـ)

-فلق الإصباح في تخريج أحاديث الصّحاح للسيوطي.

وقد انتهجت العديد من المعاجم منهج الجوهري، أهمها: لسان العرب لابن منظور(ت711هـ)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي(ت817هـ)، على الرغم من الفروقات بينها في الخصائص، إلا أنها اشتركت في الترتيب على القافية. نلخصها في الجدول الآتي:

المعجم	**لسان العرب**	**القاموس المحيط**
الترتيب	-حسب القافية(الباب والفصل)	-حسب القافية(الباب والفصل)
الهدف	-رأى ابن منظور أن هدف معجمي "تهذيب اللغة" و"المحكم" استقصاء اللغة، وهدف معجم "الصحاح" ترتيب المفردات، فأراد أن يحوز الحُسنيين، بأخذ مادة الأولين، وترتيب الأخير. -الغيرة على اللغة العربية، قال: (فأنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية..إذ عليها مدار أحكام الكتاب	-جمع اللغة واستقصائها بفصيحها وغريبها وبسيطها.

	العزيز، والسنة النبوية...وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان، من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يعد لحنا مردودا، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا..).	
المنهج	-اختار عدة مصادر يقتبس منها، تهذيب الأزهري، ومحكم ابن سيده، وصحاح الجوهري، وحواشي ابن بريّ، ونهاية ابن الأثير). وهو يتبع طريقة الصحاح في الترتيب، على نهج طريقة التقفية، بادئا بالآخر فالأول فالأوسط. (الأحرف الأخيرة هي الأبواب، والأحرف الأولى هي الفصول. ويبدأ بالهمزة إلى أن ينتهي إلى الياء). -قسّم المعجم إلى ثمان وعشرين بابا حسب الحرف الأخير، مع مراعاة الترتيب الأبجدي المعروف، وكل باب قسمه إلى فصول، مراعيا الحرف الأول من حروف المادة الأصلية، إلا أنه قدّم فصل الواو على الهاء، خلافا للجوهري في معجمه. -اعتماد الصحيح وغيره. -صدّر كتابه بفصل في تفسير الحروف المقطعة التي وردت في أوائل سور القرآن. -عقد بابا في طبائع الحروف وألقابها وخواصها (خواصها الطبية والسحرية والروحية وما بينها وبين الكون والفلك من علاقة واتفاق).	-قسّم معجمه إلى سبعة وعشرين بابا، مدمجا بابي الواو والياء في باب واحد، باعتبار الحرف الأخير من المادة الأصلية، ثم قسّم كل باب إلى ثمانية وعشرين فصلا، وفق الحرف الأول من المادة الأصلية. -وضع حرف الواو بعد حرف النون مباشرة، ووضع بعده الهاء ثم الياء.

خصائص معاجم هذه المدرسة:

ضمت هذه المدرسة معاجم كثيرة، هي: الصحاح والعُباب واللسان والقاموس والراموز والتاج، ولقيت من الشهرة ما لم تلقه مدرسة أخرى في تاريخ المعاجم العربية، وقد امتازت بخصائص منها:

-اشتراك معاجمها جميعا في الترتيب وللبحث فيها نلجأ للباب أولا (الحرف الأخير)، ثم الفصل (الحرف الأول).

وهناك بعض الاختلافات بينها:

-يلتزم الصحاح الألفاظ الصحيحة وحدها، وتطغى عليه الصبغة النحوية والصرفية.

-تغلب على العُباب الصبغة الأدبية، والعناية بالشواهد الشعرية.

-تغلب على الراموز الصبغة الفقهية.

-يغلب على اللسان والتاج الإسهاب والاطناب، فغاية الأول تحديدا استقصاء المادة وترتيبها، بصورة موعبة شاملة (ضمّ ثمانين ألف مادة).

-يتميز لسان العرب باتساع مواده الصرفية والنحوية، والتعرض للنواحي اللغوية، كالاشتراك اللفظي والترادف والتضاد وغيرهم، كما اعتنى بالنوادر والأخبار، وبالآثار والأشعار.

-وظف ابن منظور آراء العلماء السابقين له، واستخدم أنواعا من اللهجات العربية، وقدّم على ذلك شواهد القرآن والحديث، وكان له السبق بين المعجميين في ارتياد مجال الحروف المقطعة في القرآن، كما اعتنى بالقراءات القرآنية.

-في معجم لسان العرب إشارات قيمة لكثير من الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، مما عالجته اللسانيات الحديثة، تحت نظريتي المجالات والعلاقات الدلالية، من ذلك تعددية الدلائل، وتعددية المدلولات، وتصاهر وتقابل الدلائل، والدلالة الصوتية، والتناسب الطبيعي، ونظرية الحقول الدلالية، ونظرية السياق وما إلى ذلك.

-يلتزم القاموس للفيروز آبادي بالاختصار.

-جمع الفيروز آبادي ما في المحكم والعباب مع زيادات عليهما، محذوف الشواهد، مطروح الزوائد، معربا عن الفصح والشوارد. أقامه على حسن الاختصار، وتهذيب الكلام، وتلخيص المعاني الكثيرة بألفاظ يسيرة. فصل الواو عن الياء. وكان كلما ذكر المذكر قابله بمؤنثه. كما جاء بنظام الترميز، والذي شاع فيما بعد في الموسوعات والمعاجم الحديثة. وقدم المشهور الصحيح وأتبعه باللغات إن كان في الكلمة لغتان أو أكثر.

-اعتنى الفيروز آبادي بذكر الأعلام، والمادة الطبية والمصطلحات، ولا سيما الخاصة منها بعلم العروض، وأشار إلى الألفاظ المولدة والأعجمية، وأضاف مواد أهملها الجوهري.

-تقيد الفيروز آبادي بالوزن الصرفي، وذكر الحركة بالاسم مرافقة للمدخل، ذكر كلمة (محركة) وأراد بها فتح الأول والثاني، وكلمة(مثلثة) وقصد بها أنّ حرفها الأول تجوز عليه الصوائت الثلاثة (الفتح والكسر والضمّ).

-اعتنى الفيروز آبادي بظاهرة المماثلة، أو كما يسميها سيبويه مضارعة الحروف، نحو الصراط والسراط. ولم يغفل أن يشير إلى الألفاظ الأعجمية والمعربة، وفرّق بين ماله من الألفاظ وما للجوهري، بوضع خط بالأحمر على ما زاده.

مآخذ على هذه المدرسة:

-يؤخذ على هذه المدرسة أمور ترتبط بالمنهج الذي سارت عليه في تقسيم المواد وترتيبها، فترتيب هذه المعاجم يجعل الباحث لا يتبع أسلوبا مريحا، فهو ينتقل من آخر المادة إلى أولها، ويبحث حينئذ في صلب المادة، وبهذا يتشتت ذهنه. واعترض المستشرق فيشر على هذا الترتيب بنقاط لها وجاهتها، وهي:

1-إذا كان الحرف الأخير حرف علة فكثيرا ما يقع الالتباس.

2-الحرف الأخير كثيرا ما لا يكون أصليا، كما في مادة(أبو) من أب، وفي مادة(أخو)، من أخ.

-تؤخذ على لسان العرب الفوضى داخل مواده، وذلك لضخامة الكتاب، وتداخل المواد. ناهيك عن تركه بعض الصيغ والمعاني التي يتضمنها التهذيب أو المحكم، وكلاهما من مصادره الأساسية. كما أخذ عليه اقتصاره على بعض المصادر وإهماله لأخرى مهمة، كالجمهرة والبارع والمقاييس والمحيط والعباب والعين.

-اتهم الفيروز آبادي بإبهام العبارة، وغموض الشرح، وعدم الإشارة إلى القوي من الضعيف في اللغات، وتذكيره أحيانا ما يؤنث، وتأنيثه ما يذكر. فضلا عن مشكلة الاختصار التي جنت على الكتاب وحرمت قارئه مما هو ضروري أحيانا. كما أنه أخلّ ببعض وعوده في المقدمة، كتمييز الواوي من اليائي، وعدم استخدام الرموز التي أشار إليها في المقدمة، وعدم الالتزام بما وعد من ضبط الألفاظ في كل القاموس.